

■ رأي البديل - «كيري- لافروف» طواحين الهواء

يعول الكثيرون على اللقاء الذي جرى بين وزيرى خارجية أمريكا وروسيا، خاصة اقتراح المؤتمر الدولي لحل المسألة السورية، لكن السؤال المهم هو هل حقاً يمكن التعويل على اقتراح كيري - لافروف؟ أم أن الأمر كله إعادة تدوير طواحين الهواء الدولية؟

السوريون في المعارضة منهمكون بترتيب أوضاعهم التنظيمية ليكون مقعدهم في المفاوضات جاهزاً، وذلك تبعاً للريعمون كونترول الدولي.

مصادر "البديل" الدولية ومن داخل النظام لا تعول كثيراً على المؤتمر، فحتى بعض رجالات النظام لا يجدونه في هذا الاتجاه، كما أن الملفات العالقة بين روسيا وأمريكا كثيرة، وفي طليعتها الملف الإيراني.

العوائق إذا أمام المؤتمر وما يمكن أن ينتج عنه - في حال حدوث المؤتمر خلال الفترة التي تحدث عنها كيري ولافروف - هي عوائق أكثر من أن تحصى، من الداخل السوري وحتى الجوار الإقليمي.

التصعيد الجدي الوحيد الذي يأخذ بعين الاعتبار من النظام وبعض القوى الإقليمية هو التصعيد الإسرائيلي، والذي من غير المحتمل أن يكون الأخير.

وإذا كان الحديث عن مؤتمر هو مجرد تدوير لطواحين الهواء فهذا يعني أننا سننتظر المزيد من الوقت والدماء، والمزيد من المجازر، فالنظام لن يدخل المفاوضات إلا كطرف لديه أوراق، فعدا عن الدعم الروسي والإيراني هناك ورقة التطهير في الداخل، والتي باتت لعبة مكشوفة، لكنها مرعبة. أما تقييم الوضع العسكري في سوريا فهو جزء من المشكلة، حيث لا يمكن الحديث جدياً عن تفاوض من دون وجود الجيش الحر على طاولة المفاوضات، لكن الجيش الحر اليوم ليس إلا جزءاً من المكونات المسلحة الأخرى، وهذا ما يجعل قدرة التزامه على تنفيذ أية اتفاقيات أمراً صعباً. معظم المؤشرات لا تقودنا نحو استنتاج وجود جدية في الحديث عن حل سياسي قريب، أو مواقف دولية في هذا الاتجاه، لكن ما هو مفيد أن يدرك السوريون أن التحرك وفق الريعمون كونترول، كان وما زال، عقبة في وجه حل حقيقي، فالحديث عن رؤية سياسية للحل لا تأخذ شرعيتها إلا من السوريين أنفسهم، وإلا أصبحت ما باتت تعرف بالمسألة السورية مجرد ساحة بازار للقوى الخارجية، ويخشى أنها قد أصبحت بالفعل كذلك، حيث نصب نحن مجرد بياق في اللعبة بين مصالح فريقي كل من كيري ولافروف، وعندها ستبقى طواحين الهواء في حالة دوران لا أحد يعرف متى تتوقف.



الجيش الحر يغلق طريق البادية أمام إمدادات النظام إلى حلب روسيا وأميركا تتفقان على الحل دون التفاصيل ■ البديل:

تخلي واشنطن عن «الخط الأحمر» بخصوص الأسلحة الكيماوية، شهد الملف تحريكاً نشطاً من جانب بريطانيا التي أكدت مجدداً على أن استخدام النظام لـ«الكيماوي» مرجح بشدة،

بدوره، صرح أحمد داود أوغلو وزير الخارجية التركية أن «مجزرة بانياس مرحلة جديدة في الهجمات التي يشنها نظام»، لافتاً إلى انتقال النظام «إلى استراتيجية التطهير العرقي في منطقة محددة».

وشنت إسرائيل غارات على مواقع عسكرية تابعة للنظام السوري هي الأعنف من حيث قربها للعاصمة دمشق منذ احتلال فلسطين قبل ٦٥ سنة استهدفت ثلاثة مواقع منتقاة تعتبر حصن النظام على جبل قاسيون وسفوحها، وسط تكتم سوري على أعداد القتلى، فيما اعتبر الجيش الحر أن سوريا تتعرض للقصف من نظام الرئيس بشار الأسد وإسرائيل. وفي وسط سوريا، أغلق الثوار طريق البادية التي تشكل خط الإمداد الرئيسي للقوات النظام من وسط سوريا إلى حلب. وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان: «تدور اشتباكات عنيفة بين مقاتلين معارضين والقوات النظامية التي تحاول إعادة فتح طريق حماة حلب».

من جهة أخرى، ضربت تفجيرات بسيارات مفخخة مدينة الرحمانية الحدودية مع سوريا وأسفرت عن مقتل ٤٠ شخصاً على الأقل وعشرات الجرحى وسط حالة من التوتر بين سكان المدينة الأتراك واللاجئين السوريين وسط شكوك عن خلفية التفجيرات.

أزاح التوافق الأميركي الروسي حول سوريا غيمة التشاؤم والاستقالة المحتملة التي كانت تخيم على مهمة الوفد العربي والدولي إلى سوريا الأخضر الإبراهيمي بإعلانه أن هذا التقارب «أول خطوة تدعو للتفاؤل» منذ وقت طويل جداً.

واعتبر الأخضر الإبراهيمي أن التوافق الروسي الأميركي على إيجاد حل سياسي للأزمة «خطوة أولى هامة جداً». مشيراً إلى أنها «أول معلومات تدعو إلى التفاؤل منذ وقت طويل جداً». إلا أن أجواء التشاؤم عادت قليلاً إثر إعلان روسيا على لسان مسؤول رفيع المستوى عن استحالة عقد المؤتمر الدولي حول سوريا نهاية شهر أيار الحالي بسبب خلافات حول هوية المشاركين ومن هو الشرعي ومن غير الشرعي، وهو أول لغم يعترض الطريق القصير للتوافق.

وقال وزير الخارجية الأميركي جون كيري إن بشار الأسد لا يمكن أن يكون جزءاً من الحكومة الانتقالية التي من المفترض تشكيلها في سوريا وفقاً لاتفاقية جنيف، في إشارة تقلل ربما من شأن التنازلات التي قدمتها الولايات المتحدة لروسيا في إطار «توافق» الطرفين، وهو ما رحبت به جامعة الدول العربية. وقال كيري إن كل الأطراف تعمل «لتشكيل حكومة انتقالية بالتفاهم بين الطرفين وهذا يعني برأينا أن الرئيس الأسد لن يكون مشاركاً في هذه الحكومة الانتقالية»، وعرج كيري أيضاً إلى مسألة تسليم أسلحة روسية متطورة للنظام واعتبر أنها ستؤدي «إلى زعزعة الاستقرار»، وفيما تدور تكهنات عن

خبراء يشككون بأرضية التفاهم بين واشنطن وموسكو بشأن سوريا

■ أ.ف.ب-وكالات:

تحت ضغط الحصيلة البشرية للنزاع في سوريا واحتمال استخدام اسلحة كيميائية فيه، اقتربت واشنطن من موسكو بشأن تسوية سياسية للحرب الدائرة في سوريا، لكن عددا من الخبراء يشككون في ذلك بسبب الخلافات بين أمريكا وروسيا. فقد دعت الحكومة الاميركية روسيا لحماية نظام الرئيس السوري بشار الاسد للسعي إلى إيجاد حل للنزاع الذي دخل سنته الثالثة وخلف ما بين سبعين الف ومائة الف بحسب وزير الخارجية الاميركي جون كيري، ويهدد بالامتداد الى المنطقة برمتها.

والتقى وزير الخارجية الاميركي الثلاثاء الماضي في موسكو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ونظيره سيرغي لافروف.

واتفقت روسيا والولايات المتحدة على حث دمشق والمقاتلين المعارضين على الجلوس إلى طاولة واحدة، كما دعيا الى تنظيم مؤتمر دولي حول سوريا «في أسرع وقت».

وهذا الاجتماع الذي قد يعقد في نهاية أيار في جنيف، يعيد إطلاق ما يسمى بخطة «جنيف» التي اتفق عليها في ٣٠ حزيران ٢٠١٢ بين القوى العظمى، وتنص على تنظيم انتقال سياسي في سوريا، بدون البت بشكل واضح بشأن دور الأسد. فموسكو لا تزال ترفض التخلي عنه، وأكدت الجمعة الماضي شحنة اسلحة لدمشق.

اما الولايات المتحدة فأبدت من جهتها تغييرا طفيفا في موقفها عندما ألمح كيري في موسكو إلى أن بلاده لم تعد تصر على رحيل الرئيس السوري كشرط مسبق لتشكيل أي سلطة انتقالية في سوريا. ثم عاد وأكد مجددا بعد ذلك في روما على أن الأسد يجب أن يرحل لكن من دون التحدث متى.

وأوضح المتحدث باسم الخارجية الاميركية باتريك فنتريل «أن ما تغير هو أننا نريد مثل الروس العمل بشكل حثيث لكي يجلس الطرفان (السلطة السورية والمعارضة) على طاولة واحدة ويطبقان هذه الخطة».

وقال ستيفن سيتانوفيتش الاختصاصي في شؤون روسيا في مركز الأبحاث «مجلس العلاقات الخارجية» في واشنطن ساخراً «إن الاتفاق هذا الأسبوع حول عقد مؤتمر سلام يدفع صيغة جنيف لتسجيل خطوة، لكن ما هي خطوة إضافية في أمر ليس له أي معنى؟».

وأوضح «أن السؤال الحقيقي يكمن في معرفة ما إذا كان الروس مستعدين ليقولوا للأسد وداعميه إن الأمر انتهى بالنسبة لنظامهم».

وأكد ذلك سلمان شيخ مدير مركز بروكينغز في الدوحة الذي قال «تجري محاولات في هذا الوقت، لكني لا أعتقد أن مواقف (موسكو وواشنطن) تغيرت



باتت ظاهرة للعيان مع دخول اسرائيل وحزب الله اللبناني على خط النزاع الراهن.

فلمواجهة مثل هذا الفراغ كما حدث في العراق في ٢٠٠٣، سيتعين على الولايات المتحدة أن تكون «مستعدة لإنفاق ألف مليار دولار (لإرسال) ١٦٠ ألف جندي و(تكبد) ستة آلاف قتيل»، كما قال نائب الرئيس جو بايدن في حديث نشر الخميس الماضي. وقال في ذلك الحديث «العبرة التي استخلصناها من العراق ومن الإدارة السابقة.. هي أنها بتوليها إدارة شؤون العراق دمرت كل المؤسسات. لم تكن هناك هيئة واحدة متبقية. لم يكن هناك حتى وزارة للأشغال العامة». مضيفا «نعلم أننا قادرون على معالجة هذا الأمر إن كنا على استعداد لإنفاق ألف مليار دولار ونشر ١٦٠ ألف جندي، وتكبد ستة آلاف قتيل، ولكننا لا نستطيع ذلك».

وكانت مصادر مطلعة في واشنطن قد تحدثت عن حالة شد وجذب بين الدوائر الأمريكية، خاصة مع وجود ضغوط متزايدة على الرئيس أوباما من أجل دعم المعارضة السورية بشكل أكثر جدية، لكنها أشارت إلى أن الموقف الأمريكي ما زال متردداً، وخاصة لجهة البيت الأبيض.

المقربون من أوباما يقولون إن تردد الرئيس يعطي صورة سلبية عن قدرات أمريكا، وقد باتت هذه الصورة السلبية تنعكس في مرآة التحدي الروسي، كما باتت تنعكس لدى صناع القرار في الشرق الأوسط، حيث أصبح اللاعبون الإقليميون هم الأكثر تأثراً في مجريات الصراع في سوريا، وفي هذا إشارة ليس فقط إلى تركيا وإيران، بل وأيضا إلى اسرائيل.

كثيراً... وأوضح شيخ لوكالة فرانس برس «حتى وإن كان هذا النشاط الدبلوماسي موجوداً فإن الوضع على الأرض هو الذي سيقى مهيماً».

ونفى أوباما من ناحيته عدم التحرك حيال هذا الملف مدافعا عن استراتيجية إدارته، ولفت الأسبوع الماضي إلى أنه لا توجد «أجوبة سهلة» لمواجهة هذه الأزمة، وذلك بعد أن تحدثت إدارته قبل أسبوعين للمرة الأولى عن احتمال استخدام نظام الاسد لأسلحة كيميائية.

وعلى الرغم من تأكيده أن استخدام مثل هذه اسلحة من شأنه أن يغير «قواعد اللعبة»، فإن أوباما خفف

السؤال الحقيقي يكمن في معرفة ما إذا كان الروس مستعدين ليقولوا للأسد وداعميه إن الأمر انتهى بالنسبة لنظامهم؟؟

من لهجته في تصريحات كثيرة منذ ذلك الحين، مؤكداً أن الأدلة على استخدام مثل هذه الاسلحة غير كافية. كما أوضح أيضاً أنه من غير الوارد مسبقا إرسال جنود أمريكيين إلى المكان.

ولا يزال يسيطر على الإدارة الأمريكية هاجس سابقة ٢٠٠٣ عندما أطلق الرئيس السابق جورج بوش الابن عملية غزو العراق بحجة وجود «أسلحة دمار شامل» لم يعثر على أي أثر لها.

ومع حث روسيا على وقف دعمها لنظام دمشق، تخشى الولايات المتحدة من عواقب سقوط مفاجئ لنظام الاسد على سوريا والمنطقة، لا سيما وأنها

دمر النظام بيوتهم وأحلامهم وتاريخهم وحول الإنسان وحشاً بلا عاطفة سوريون: حياة كاملة بتفاصيلها وأماكنها وأشخاصها أصبحت مجرد ذكريات

■ البديل - محمد إقبال بلو

، شوارع مغلقة بالركام، وبيوت مهجورة، تشعر أنك في مدينة لا يعيش فيها سوى الأشباح، منظر مخيف، لقد كان حي صلاح الدين موطناً لأكثر من مئتي ألف مواطن حليبي، كلهم هجروا المكان الذي كان يغص بالناس، وتراه مزدحماً في كل شوارعه يضج بالحياة الاجتماعية والتجارية، أسواق كانت تعتبر مركزاً للتسوق يصل إليه الكثير من الأهالي في الأحياء الأخرى، نظراً لانخفاض الأسعار فيه، وذلك بسبب الاستهلاك الكبير الناتج عن الكثافة السكانية، في الحي أكثر من عشر مدارس معظمها تم تدميرها بالقصف، وتم تحطيم محتوياتها من قبل الشبيحة والعسكر عند اقتحامهم لهذا الحي، أشعر أن زلزالاً أصاب المكان ودمره تدميراً كاملاً، للأسف لم تقدم الجهات الإنسانية والإغاثية أي شيء لمنكوبي الحي، مما جعله خاوياً من سكانه حتى بعد تحريره، فأين ستعيش الناس لو عادت إلى هذا الحي؟ وهل سيكون بالإمكان إعادة ترتيب الوضع وإصلاح ما دمر؟، ثم إننا لو قمنا بإصلاح ما يمكن إصلاحه فما الذي سيضمن لنا أننا لن نتعرض للقصف الإجرامي مرة أخرى؟، لقد بقي الحي مدمراً واعتقد أنه سيبقى كذلك حتى نهاية الثورة وسقوط النظام، أن يتهدم بيت فهذا يعني أن حياة عائلة كاملة قد تهدمت، ولم يبق منها إلا ذكريات فقط، ويأس ما بعده يأس.

أبو عواد عجوز من إحدى قرى الريف الإديلي، رجل مر بالكثير من المعاناة عبر حياته إلا أنه لم يجرب معاناة كما ذاق اليوم، يقول للبديل: لقد عايش ظروفاً مختلفة مرت على سورية عبر عشرات السنين من حياتي، إلا أنني لم أشهد إجراماً ووحشية كما شهدت في العامين المنصرمين، فالاحتلال الفرنسي كان يبني ويعمر بلادنا مع علمه أنه سيخرج منها يوماً، لم يخرب أي شيء بل كان همه تطوير هذا البلد، والكثير مما تركه الفرنسيون مازلنا نراه بل ونستفيد من خدماته، ويأتي ابن البلد ليديرها ويقصفها، وبهدم البيوت فوق رؤوس أصحابها، هذا ما لم أتوقع أن أشهده في حياتي، بل ما لا أصدق أنه يحدث، وأنا أعتقد أن يوم القيامة قد اقترب، لقد دمرت قريتنا بالكامل، حتى أنهم أحرقوا أشجار الزيتون التي نعيش من وادها، هدموا منازل أولادي وأحفادي، أنظر أحياناً إلى هذا الدمار وأفكر كيف بقيت حياً حتى اليوم لأشهد ذلك؟، لكم تمنيت لو أنني مت ولم أر معاناة الناس هذه، أطفالنا أصبحوا من سكان الخيام على الشريط الحدودي التركي، تركوا ألعابهم وأشياءهم كلها في بيوت محطمة وقلوب تحطمت معها، إنها عملية دفن لذكريات ولتفاصيل يومية منها الهام ومنها الاعتيادي، بشار الأسد وجنوده القتل يدفنون التاريخ ويدمرون الجغرافية، بل وصلت جرائمهم إلى تدمير الإنسان من الداخل بكل ما يحتوي من تفاصيل إنسانية وتحويله إلى وحش دون عاطفة، للأسف لقد نجحوا في تدمير كل ما هو سوري.



أعتقد أن يوم القيامة قد اقترب لقد دمرت قريتنا بالكامل

إحداثه إنسان إلا إذا كان متوحشاً خارجاً عن صفات الإنسانية كلها، وصلت إلى بيتي المدمر فلم أجد شيئاً من ملامحه إلا غرفة واحدة بقيت محافظة على شكلها، دخلتها وتذكرت الأيام التي عشتها في هذا المنزل وكم تعبت يوماً بعد يوم ولمدة خمسة أعوام كاملة حتى استطعت أن أبنيه لأعيش فيه أنا وزوجتي وأطفالي الخمسة، لم أكن أتصور يوماً أنني سأعرض لهذا الموقف المؤلم، لقد ولد أطفالي الخمسة في هذا المنزل، فهو مسقط رأسهم، فيه كبروا وتعلموا الحروف الأولى، وفيه عاشوا جزءاً لا ينسى من الطفولة، لم أستطع أن أصبحهم معي لرؤية المنزل فقد يتسبب ذلك بصدمة كبيرة لهم، لا نستطيع أن نفعل شيئاً سوى أن نتأمل ونتذكر، وهذا حال معظم السوريين الذي دمر حياتهم هذا النظام المجرم.

أحمد عموري نازح من حي صلاح الدين بحلب التقينا به في إحدى قرى ريف حلب فقال لـ البديل: لقد خرجت من حي صلاح الدين في بداية المعارك بين قوات النظام وقوات الجيش الحر هناك، خرجت تحت وابل من الرصاص دون أن احمل معي شيئاً، كل ما هممني في ذلك الوقت أن أخرج بابني سالماً ولا شيء سوى ذلك، وصلنا إلى هذا المكان وتدبرنا أمورنا بما نملكه من مال قليل وبما قدمه لنا البعض من مساعدات، عدت بعد فترة إلى الحي لأتفقد المنزل، فوجدت الحي مدمراً دماراً شبه كامل، لقد تغيرت الكثير من الملامح له فهناك أبنية مهدامة بالكامل وبعضها أصابه دمار جزئي

تفرق السوريون في مختلف أصقاع الأرض، تاركين وراءهم بيوتهم وأحياءهم وقراهم ومدنهم وحياة كاملة التفاصيل بمختلف أحداثها اليومية، هجروا منازلهم، تركوا أشخاصاً عرفوهم، كما تركوا وراءهم ذكريات محفورة في النفس ودمعة حائرة لا تستوعب ما حدث، معظم الأماكن التي اعتادوا على العيش فيها لعشرات السنين أصبحت يباباً، ولم يتبق منها سوى أطلال تدفن تحتها ما عاشوه على مر السنين، ما فعله النظام في سورية حولها إلى بلد منكوب، وما أحدثته فيها جرائمه لم يحدثه أي زلزال ضرب المنطقة من قبل.

أبو علاء مواطن من ريف حلب أب خمسة أطفال ترك بلدته ومنزله وأعماله ليصبح لاجئاً خارج بلده في الدولة الأقرب له وهي تركيا، يقول للبديل: قامت قوات النظام باقتحام بلدي مرتين، وفي كل مرة كانوا يخلفون وراءهم الكثير من الدمار فمن حرق المنازل إلى حرق المحاصيل الزراعية، لقد قاموا بالضبط بتنفيذ تهديدهم (الأسد أو نحرق البلد)، نعم لقد أحرقوا البلد، وأحرقوا قلوبنا معه، كل ذلك لأننا فكرنا مرة واحدة أن نقول لا في وجه الظلم وانتهاك أدنى الحقوق البشرية، يريدون أن نكون عبيداً لهم بامتياز، هذه الاقتحامات كانت أقل دماراً مما شهدناه بعد تحرير البلدة، حيث اعتقدنا وقتها أن الأمر انتهى إلا أنهم بدأوا بالقصف العشوائي العنيف بكل ما يملكونه من قوة، وكأنهم يحاربون العدو الصهيوني، بل أكثر من ذلك، فهم لم يطلقوا رصاصة باتجاه إسرائيل على مر عقود، لقد دمرت راجمات الصواريخ وقذائف المدفعية البلدة أكثر من تسعين بالمئة من ملامح البلدة.

ويتابع أبو علاء: في زيارتي الأخيرة للبلدة التي تتعرض للقصف يوميا وجدتها مختلفة كلياً فشكلها فقد ملامحه التي عايشتها طوال حياتي، إنه تغيير لا تحدثه إلا كارثة طبيعية، ولا يستطيع

ضرب خيارات النظام وتصغير حجر حلفاءه

غازي دحمان

شيئاً فشيئاً تتضح طبيعة الخيارات الغربية في التعامل مع نظام "الحكم السوري، الاستنزاف والتدمير بالتقسيم، وسياسة التعويد على قضم قوة النظام، والهدف، من وراء هذه الاستراتيجية، الوصول إلى حالة تفكيك النظام، أو التمهيد لظهور قوى معينة من داخله، أو من بيئته، التي صارت تمتلك مساحة مهمة من قرار هذا النظام، يمكن التفاوض معها، وبها، يتم ضمان بقاء المؤسسات واستمرارها، وعدم انزلاق سورية إلى الفوضى الشاملة، أو أقله ضبط ما يمكن ضبطه في الحالة السورية.

لا شك أن الغارات الإسرائيلية، الدقيقة الأهداف والإصابات، تحمل في طياتها غايات بعيدة المدى، ويتضح ذلك من خلال قيام إسرائيل بالتركيز على ضرب روافد القوة الأساسية لدى النظام، قوات النخبة في الفرقة الرابعة، وفي القلب منها اللواءين ١٠٥ و ١٠٤ والفرقة ١٤ جوية، والتي تشكل أهم الأذرع الضاربة لدى النظام، حيث يبدو أن المقصود بهذا العمل إضعاف بنية القوة لدى النظام من ناحية، والتأثير بخياراته المستقبلية من ناحية أخرى، ذلك أن أي خيار يسعى النظام لاعتماده، ستكون أليات تنفيذه منوطة بهذه التشكيلات العسكرية المهمة والقادرة، ومن دونها كل القوى الأخرى رديفة ومساعدة، لكنها ليست أساسية.

هي غارة، أو غارات، على خيارات النظام نفسها، فقد توصلت دوائر الاستخبارات الغربية والإسرائيلية إلى قناعة بأن بشار وجماعته وحلفاءه لديهم خيارات خطيرة من شأنها المساس بالأمن الإسرائيلي، وأمن المنطقة في المدين القريب والمتوسط، فهم يجهزون منطقة الساحل للفرار إليها وترك باقي سورية مرتعا للفوضى والدمار، باتفاق روسي إيراني، وكذلك لترك مجال له يعبث من خلاله بأمن المنطقة عبر أذرع مأجورة قد يصنعها مع إيران، في استعادة لتجربة «حزب الله» في لبنان، ويبقى هو وحلفاؤه يمسكون بخيوط الصراع في المنطقة.

على هذا، فإن تكتيك الضربات للمواقع المهمة والحيوية في هيكليّة القوى النظامية يهدف بدرجة مهمة إلى إظهار وجهة نظر أخرى في البنية المتماسكة للنظام، ودفعها لتغيير حساباتها والتعامل بحسابات أكثر براغماتية وعملائية، تساعد في بناء رؤية صحيحة للفرص والمخاطر التي تحملها المرحلة بناءً على معطيات غير تلك التي يوفرها الأسد، وتساعد على الظهور



كبيرة، كما أنه يلتف على حالة المعارضة الشعبية الغربية في هذه الآونة للتدخلات الخارجية، ولا يمس مداخلهم وميزانيات معاشهم، كما لا يتطلب المغامرة بأولادهم في حروب الشرق الأوسط.

على ذلك، تشير التقديرات إلى أنه من المتوقع مشاهدة تشكيلة متنوعة من التطبيقات العملائية لهذا النمط من الضربات في المرحلة القادمة، ومن الممكن أن يكون بعضها قد أخذ طريقه إلى التطبيق والتنفيذ، مثل تعطيل بعض المنشآت العسكرية ذات الطبيعة الإلكترونية، وقد تشمل في مرحلة متقدمة كل ما له علاقة بالأسلحة ذات الطبيعة الاستراتيجية، أو مخازن الأسلحة الكيماوية، ومراكز التحكم والقرار، ولذلك مؤثراته الكثيرة، منها وأهمها طبيعة التدريبات الخاصة التي تجريها القوات الأمريكية لبعض الفرق ذات المهمات الخاصة في الأردن، مما يعني أن الاستهداف لن ينحصر بالبوابة الإسرائيلية في المرحلة المقبلة.

في الجهة المقابلة، التقدير هو ألا يقوم النظام بإجراء ردود معينة على الغارة، كل المؤشرات تدل على ذلك فلا توجد لديه استعدادات موحية بذلك، كما أنه بات يفتقد للأدوات وللبنية التحتية للقيام بهذا النوع من الأعمال، وحتى عقائدياً لا تشكل إسرائيل هدفاً للنظام أو عدواً محتملاً، فضلاً عن معرفة النظام المسبقة بالأثمان التي من الممكن دفعها في حال سيره بهذه المغامرة، النظام لا تهمه سورية، وبالتالي لم يعد مستعداً للمغامرة والدفاع عنها، قد نشهد بعض الردود المضبوطة جداً والمحدودة في حال استمرار الغارات، كنوع من الدعاية المؤقتة، ليس أكثر.

والتبلور والتموضع في بيئتها أكثر، هي محاولة لتفعيل قوى جديدة داخل النظام تلك التي لم تجد أفكار ورؤى وتصورات جديدة غير تلك الانتحارية التي يفرضها الأسد.

هذه الضربات أيضاً تكشف مدى وهن التحالف الإقليمي والدولي الذي يستند عليه النظام، والذي سيظهر أنه تحالف، ورغم المساعدات اللوجستية التي يقدمها، يبقى تحالفاً تفاوضياً، يسعى إلى استثمار حالة الخطورة التي توفرها الأوضاع المأزومة بالمزاوجة مع مخاوف الغرب وارتبাকে وتردده، تحالف لا يبتغي أكثر من تعويم بعض الملفات، ورفع سقف أسهمها التفاوضية، باستثناء ذلك فلن يذهب بوتين إلى حد إعلان الحرب على إسرائيل وأمريكا، كما أن خامنئي لن يغامر بإرسال جنوده للدفاع عن بشار، كل ما يمكن فعله هو تدريب جيش الأسد على ما صرح قائد القوات البرية الإيرانية. أما حزب الله الذي يقاتل في القصر والسيدة زينب فيدرك أن جبهة إسرائيل محرمة عليه تماماً لاعتبارات استراتيجية وعسكرية.

ووفق هذا المنظور أيضاً، فإن لتكتيك الضربات بالتقسيم، فوائد نفسية كبيرة، تتأتى من كون حلفاء دمشق من الممكن أن يتكيفوا مع الأمر وألا يرحجوا أمام شعوبهم، فهذه الضربات لن تؤدي لإسقاط الأسد بين ليلة وضحاها، وهي تعطي مساحة واسعة لإجراء مقايضات ومساومات مع مختلف الأطراف السياسية، مما يعني أنها تتيح هامشاً سياسياً مرناً يستطيع هضم وابتلاع كل حالات التوتر وتنفيسها، بعكس الهجوم الشامل الذي تغلق معه كل الأقفال الدبلوماسية.

وبالنسبة للغرب فإن هذا الخيار يقلل من المفاجآت ولا يستدعي استنفاراً عسكرياً ولا موارد مالية

الأهداف البعيدة للغارات الاسرائيلية

■ محمد فاروق الإمام



إن المتتبع لمسيرة نظام الممانعة والصمود على مدى نصف قرن أو يزيد اعتاد على مشاهدة الطيران الإسرائيلي، ليس فقط في دخول الأجواء السورية، وإنما على ضرب أهداف داخلية حيوية في طول البلاد وعرضها آمناً مطمئناً وكأنه في رحلة سياحية لا تعكرها الأنواء أو الأجواء وقد درس بدقة العوامل الجوية مسبقاً، واتخذ قرار رحلته بالتوافق مع معدي النشرة الجوية التي تصدر عن المخابرات الجوية في دمشق.

نظام الصمود والتصدي والممانعة كان على الدوام يبتلع السكين الصهيونية بكل أدب واحترام وذل وخنوع منذ استيلاء اللجنة العسكرية التي قادها الثلاثي (حافظ الأسد ومحمد عمران وصلاح جديد) على السلطة في دمشق فجر الثامن من آذار ١٩٦٣، فعندما كان حافظ الأسد قائد القوى الجوية اخترقت طائرات الفانتوم الإسرائيلية الأجواء السورية في ١٩٦٤/١١/٣ وقصفت الجبهة السورية من شرقها إلى غربها ولأكثر من ٢٠ دقيقة دون أن يعكر مزاج طيارها أي رد من قبل المضادات الأرضية، اللهم إلا من طلقات فردية أطلقت عليها من قبل عسكري وطني أبت حميته أن يشاهد الطائرات الصهيونية تعتدي على تراب الوطن دون أن يتصدى لها، ودفع الثمن الاعتقال والسجن والتعذيب لأكثر من سنة في سجون نظام الممانعة والصمود والتصدي.

وفي عهد اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع وقائد الجبهة أحمد المير ورئيس الأركان أحمد سويدان تمكنت إسرائيل من دحر الجيش العقائدي في أقل من ست ساعات واحتلال مرتفعات الجولان العنصرية، حيث سقطت دون دفع أو مدافعة بعد إصدار وزير الدفاع حافظ الأسد أمراً بالانسحاب الكيفي من الجبهة، وهذا يعني التخلي عن كل الأسلحة التي تعيق الأفراد من الانسحاب والتراجع، وبالتالي وقوع مئات الدبابات وقطع المدفعية وناقلات الجند غنيمة بيد إسرائيل، وإصدار بيانه الشهير بسقوط القنيطرة قبل أن تدنسها قدم جندي إسرائيلي بأكثر من ١٨ ساعة.

وفي عهد حافظ الأسد بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية كانت حرب تشرين ١٩٧٣ التي تمكنت فيها إسرائيل من الوصول إلى مشارف دمشق والاستيلاء على ٣٤ قرية جديدة هي كل ما تبقى من الجولان ولم تحتلها في حرب ١٩٦٧. ومن ثم عقده لاتفاقية فك الاشتباك مع الصهاينة برعاية كيسنجر عند الكيلو ٥٤ تعهد بموجبها حافظ الأسد تأمين حدود إسرائيل الشمالية من أي اعتداء في مقابل دعم إسرائيل لنظامه وفي كلا الطرفين بتعهداتهما.

وبعد وراثة الأسد الصغير لأبيه لم تتوقف الغارات الإسرائيلية على الأراضي السورية كلما شعرت أن هناك ما يهدد أمنها حتى جاءت الغارات الأخيرة التي ضربت مرتكزات النظام العسكرية في العمق دون أن يسمع العالم أي ردة فعل للنظام تجاه هذا العدوان إلا جعجعة اعتاد العالم على سماعها (سنرد في الزمان والمكان المناسبين).

إسرائيل سارعت إلى طمأنة الأسد إلى أنها لا تزال على العهد الذي وقعته مع أبيه قائلة: إن الغارات ليس هدفها دعم المعارضة أو إسقاط الحكم، فيما

في حرب تشرين تمكنت إسرائيل من الوصول إلى مشارف دمشق والاستيلاء على ٣٤ قرية جديدة

والغرب عن دعم الثورة السورية هو بحثهم عن ضمانات لأمن إسرائيل يأخذونها من الثوار، وحتى الآن لم يأخذوا شيئاً يريح بالهم فيلجأون للخيار الآخر، وهو ترك سورية آلة التدمير والقتل الأسدية التي - كما نراها - تأكل الأخضر واليابس، وعند انتصار الثورة فإن سورية ستحتاج لسنوات طويلة حتى تعيد بناء نفسها، وبذلك يشتررون أمناً مجانياً لإسرائيل.

إسرائيل متأكدة من سقوط النظام وزواله وعليه فهي تعمل مسابقة الزمن لاستغلال هذا الوضع فتقوم بشن غاراتها لتدمير مواقع الأسلحة المتطورة التي زودته بها روسيا وإيران، وتدمير أكبر قدر منها، حتى لا تبقى مشكلة أي خطر عليها في قابل الأيام، وإن زال النظام وهذه الأسلحة موجودة فستكون إسرائيل قد ضيعت فرصة ذهبية. قد يقول قائل أن هذه الضربات تقوي الثوار على حساب النظام، ونرد بالقول: إن إسرائيل لا تستهدف سوى السلاح الاستراتيجي الذي يهدد كيانها وأمنها، فالنظام لن يستخدم هذه الأسلحة لأن لا مجال لاستخدامها ضد الثوار (فالصواريخ المضادة للطيران لن تستخدم لأنه لا طائرات لدى الثوار، ومركز الأبحاث لا دور له في الحرب ضد الثوار)، ولأن ميزان القوى في التسليح يبقى كبيراً بين النظام والثوار، وقوة الثوار تكمن في الانشقاقات داخل الجيش وتأكله من الداخل وهذا يعني سقوط كل هذه الأسلحة بيد الثوار بنهاية المطاف، وهذا ما يقلق الكيان ولهذا يجب أن نتوقع المزيد من الضربات المماثلة كلما اقتربت لحظة الحسم وسقوط النظام.

سارعت طهران إلى نفي ما زعمته إسرائيل من أن الغارات استهدفت صواريخ إيرانية متوجهة إلى حزب الله في لبنان بهدف التحلل من التزاماتها التي قطعتها على نفسها تجاه النظام.

أغلب التحليلات والكلام الذي تناقلته وسائل الإعلام حول الهدف من هذه الغارات حاولت تجريدها لصالح هذا الطرف أو ذاك في الصراع بين الثوار والنظام الأسدي.

فمن ناحية يصير مؤيدو النظام على تصوير الثورة على أنها بأكملها مؤامرة كونية على محور الممانعة والمقاومة وموقف النظام الداعم لهذا المحور، وفي المقابل هنالك بعض المحللين من يقول بأن هذه الغارات جاءت دعماً للنظام السوري وإبعاد أنظار العالم عما يرتكبه من مجازر عرقية ودينية ومذهبية بشعة بحق المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ في البيضا وبانياس والقصير ومحيطها من القرى ذات الغالبية السنية.

في حين يقول مؤيدو الثورة أن إسرائيل لا تريد سقوط النظام وتدعمه وفاء لتعهداتها السابقة كما ذكرنا، وكونه نظام جريته على مدى أربعة عقود نعمت فيها حدوده الشمالية بالأمن والأمان.

من البديهي أن إسرائيل لا تريد انتصار الثورة لأنه خيار أكثر سوءاً لها، فالنظام وإن كان في ظاهر الأمر أنه يعادي الكيان ويدعم المقاومة فهو قد أورت سورية تخلفاً سياسياً ومالياً واجتماعياً وهذا أورثها ضعفاً في مواجهة الاحتلال، فبإزالة النظام ومجيء نظام وطني يسعى لمصلحة الشعب السوري وتطويره، فهذا سيقوي سورية، وبما أن موقف الثوار مثل موقف جميع السوريين هو العداء لإسرائيل فهذا سيء لها، وخاصة على المدى المتوسط والبعيد.

إن لإسرائيل هدفين: الأول هو تقسيم سورية إلى دويلات طائفية تتحارب فيما بينها وتضعف قوة سورية في مواجهتها، والثاني تفتت سورية وإنهيار الدولة بأكملها.

ومن المؤكد أن أحد أهم أسباب تخاذل الأمريكيان

المؤتمر الدولي حول سوريا... تفاقم الأزمة وتوافق الحد الأدنى

■ حسام الميلاذ *

ما هو ردة فعل علي حالة الإحباط التي مني بها الإبراهيمي كمبعوث أممي عربي مشترك. والذي لمس عن قرب تعقيدات الأزمة السورية. ويحق للجميع وأولهم الشعب السوري أن يتفاعل في إمكانية الوصول إلى وضع حد للأزمة السورية، لكن علينا التوقف عند بعد الملاحظات:

إن نجاح الحل السياسي في سوريا مرهون بأن يقدم كلا الطرفين النظام والمعارضة تنازلات حقيقية، ويبدو أن الطرفين غير مستعدان لها، طالما أن الأمور ميدانيا لم تحسم لصالح أحدهما.

أن المعارضة السورية بالرغم من كل محاولات توحيدها عسكريا وسياسيا لا تزال مشتتة، وإن أي حل سياسي قادم سوف يؤدي غالبا إلى انشقاقات في المعارضة، أخطره في الجانب العسكري، مما يؤدي إلى استئناف الاقتتال واستمرار الأزمة.

يبدو أن قدرة الأمريكيين والروس على الضغط على طرفي النزاع في سوريا لتقديم التنازلات المطلوبة هي قدرة محدودة، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الطرف الاقليمي لازال الأكثر فاعلية في الأزمة السورية، ولا يمكن فصل الملف السوري عن الملفين، النووي الإيراني، والتصعيد الكوري الشمالي.

من هي الدول التي ستدعي لهذا المؤتمر؟ هل ستدعي إيران مثلا، والتي يبديها العديد من مفاتيح الحل في الأزمة السورية؟ وهل سيكون لإسرائيل، التي أصبحت متورطة مباشرة بما يحدث في سوريا، مكان بين المشاركين؟ وما هو موقف الدول العربية من مشاركة اسرائيلية؟

لماذا لم يلجأ الطرفان إلى مجلس الأمن لاستصدار قرار ملزم لجميع الأطراف بدلا من عقد مؤتمر دولي؟ ألا يؤدي ذلك إلى الاستنتاج بأن التوافق الروسي الاميريكي لا يزال حتى الآن في الحد الأدنى.

إذا كان شرط نجاح المؤتمر الدولي حول سوريا مرهون بتوصل الأطراف كافة لاسيما الولايات المتحدة وروسيا حول وجهة نظر مشتركة، فإن الاميركيون والروس حتى الآن مختلفون حول فهم بنود مؤتمر جنيف الذي عد المرجعية للمؤتمر الدولي القادم حول سوريا، إذ أن الهدف المعلن للمؤتمر القادم كان أساسا نقطة خلاف جوهرية بين الروس والمجموعة الدولية، ونعني بها تحديد آلية قيام "جهاز تنفيذي انتقالي كامل الصلاحيات" من جهة أن يكون الأسد جزءا من هذا الجهاز أم لا.

لا تزال قضية تنحي الأسد تشكل حجر عثرة في أي اتفاق، وقد سارعت أطراف المعارضة السورية، إلى تأكيد موقفها الرافض لأي حل سياسي لا يشمل رحيل الاسد والحجة باتت معروفة، أن لا تفاوض مع من «تلطخت يديه بدماء الشعب السوري»، وهذا بالطبع أقرب لأن يكون موقفا أخلاقيا، من كونه موقفا سياسيا. ولكن ليس من الأخلاق أيضا وقف الجرائم المرتكبة بحق الشعب السوري؟ أو ليس اعطاء المزيد من الوقت لاستمرار الجرائم ضد الشعب السوري مع عدم امكانية لجمعها هو موقف لا أخلاقي أيضا؟ أوليس محاسبة من ارتكب انتهاكات بحقوق الانسان في سوريا هي بالدرجة الأولى مسؤولية القضاء النزيه الذي تنشده سوريا الجديدة كدولة مدنية ديمقراطية، وحده هذا القضاء هو المخول بمحاسبة جميع من انتهك حقوق الشعب السوري من أي طرف كان.

* كاتب فلسطيني



لدفع تلك الفاتورة العالية لاستمرار اللازمة السورية. يبدو اليوم أن واشنطن تستعيد زمام المبادرة في محاولة لإدارة الأزمة السورية، وكيري الذي التقى بالقادة الروس حمل معه عصا غليظة تمثلت في أمرين: ضربة عسكرية اسرائيلية لسوريا كانت بمثابة رسالة واضحة للجميع من أننا إن لم نتدخل مباشرة يمكننا التدخل بالوكالة. ومناورات ضخمة في الخليج تقودها واشنطن بمشاركة (٤٠) دولة. العصا التي رفعها كيري في طريقه إلى موسكو كانت واضحة، لكن ما هو غير واضح حتى الآن هو الجزرة التي قدمها كيري إلى الروس ولحفائهم في المنطقة، لاسيما في الملفين: النووي الإيراني والكوري الشمالي. فهل أدركت كلا من موسكو وواشنطن أن انفجار المنطقة بتركها للاعبين الإقليميين يهدد مصالح كلا الطرفين؟ أم أن مصالح الدول الإقليمية في الأزمة السورية باتت تفوق مصالح الدول العظمى؟

تمخض عن اجتماع (كيري - لافروف) الاتفاق على عقد مؤتمر دولي حول سوريا على أساس مرجعية جنيف. وحدد الهدف العريض من المؤتمر بتشكيل حكومة انتقالية ذات صلاحيات واسعة، مع إعلان واشنطن وموسكو الاستعداد للضغط على الأطراف المتنازعة لقبول الحل السياسي. وإذا كان لافروف قد ألمح إلى أن روسيا مهتمة بالشعب السوري أكثر من شخص الرئيس الأسد فهذا لا يعد تحولا مفاجئا في الموقف الروسي، كما بدا للبعض، إذ لطالما أعلنت روسيا أن الحل في سوريا يجب أن يكون سياسيا، وأكد لافروف في أكثر من مناسبة أن روسيا غير متمسكة ببقاء الأسد، لكن الشعب السوري هو الذي يحدد ذلك عبر عملية سياسة وديمقراطية. مع ذلك لا يبدو أن ثقة النظام السوري بثبات الموقف الروسي المصرح عنها عقب المؤتمر الصحفي لـ (كيري - لافروف) مرشحة للدوام، إذا أخذنا في عين الاعتبار أن نجاح المؤتمر الدولي والعملية السياسية المنبثقة عنه رهن بحجم التنازلات التي سيقدمها بالدرجة الأولى الروس والأمريكيون. لاسيما بعد ما طالت الفرصة الزمنية التي منحها الروس للنظام السوري للقضاء على المعارضة.

يبدو أن الموقف المتفائل الذي سارع الأخضر الابراهيمي إلى إعلانه عبر المؤتمر الصحفي المشترك لـ (كيري - لافروف) ليس بالتفاؤل الموضوعي بقدر

أبلغت إسرائيل الجانب السوري، بشكل غير مباشر، أن الغارات الإسرائيلية الأخيرة ليست موجهة إلى قوات النظام السوري بل إلى حزب الله. ويبدو من السذاجة تصديق هذا الادعاء، لاسيما أن الغارات الاسرائيلية استهدفت شريطا يمتد حوالي ٣٠ كم من الصبورة غربا وإلى الشمال حتى جبل قاسيون، تتمركز فيه النواة الصلبة للجيش السوري، من حيث نخبوية القوات المتواجدة فيه، أو أمن حيث نوعية الأسلحة أو أهمية المنشآت العسكرية المستهدفة. لم تستهدف الغارة الاسرائيلية هذه المرة مجرد شحنة أسلحة في طريقها إلى حزب الله.

تتقاسم الولايات المتحدة الاميركية وإسرائيل القلق حيال الأسلحة الكيميائية السورية وإمكانية وصولها إلى حزب الله أو المجموعات المسلحة المتشددة لاسيما جبهة النصرة التي بات ارتباطها بتنظيم القاعدة أكثر وضوحا. كما يتشاركان أيضا الخشية من سوريا المجهول في حال سقوط نظام الاسد. الذي رددت واشنطن مرارا وتكرارا أن أيامه باتت معدودة، ولم تعد اسرائيل ترى فيه دولة بل كيانا على حافة الانهيار. خلال الأشهر الطويلة المنصرمة من عمر الأزمة السورية، بدا أن إرادة الأطراف الداعمة للنظام السوري هي علي درجة كبيرة من القوة باتجاه ضمان بقاء نظام الاسد، ولا يضاهي هذه الإرادة قوة سوى حجم تردد الدول التي دعت إلى تنحي الأسد وأعلنت دعمها للمعارضة. فتركيا التي أرادت مقارعة النفوذ الإيراني في المنطقة واستعادة دورها العثماني المسلوب وخطب ود الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي، نراها اليوم مشغولة بصفقة السلام مع حزب العمال الكردستاني الذي بدأت قواته بالانسحاب من الأراضي التركية باتجاه كردستان العراق، وربما إلى مناطق أخرى لم يعلن عنها بعد. أما الاتحاد الأوروبي فهو أكثر انشغالا بشؤونه الداخلية وبأزماته الاقتصادية التي تعصف بدوله. وفرنسا التي بدت أنها قائدة للاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بالشأن السوري هي اليوم أكثر اهتماما بمصالحها الافريقية ومقارعة النفوذ الصيني المتنامي، وهي على استعداد لتحمل كلفة أي عمل عسكري في ليبيا أو مالي وبالسرية الممكنة أكثر بكثير من استعدادها لتحمل كلفة التورط غير المجدي في سوريا، ويبدو أن الجميع حتى الدول النفطية الفاعلة في الأزمة السورية ليست مستعدة

حقوق الإنسان وواقع الصراع السوري

■ فائق حويجة*



ناضلت الإنسانية طويلاً حتى وصلت إلى إقرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢١٧ تاريخ ١٠ كانون أول ١٩٤٨ والذي أكد في ديباجته على أن الاعتراف: **(بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم)**. (كما أكد على أن: **(الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو > المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات ...)**

مدى التزام المعارضة المسلحة السورية، بمختلف أطرافها، بهذه القوانين التي اعتمدتها البشرية، في صراعها مع النظام السوري؟ ليس ثمة من شك في أن الانتفاضة السورية قد ابتدأت سلمية حاملة أغصان الزيتون على كامل ساحة الوطن تقريباً.. ثم ذهبت نتيجة عنف النظام وقمعه الدموي من جهة، إضافة لحسابات خاطئة وخاصة لأطراف محلية وإقليمية ودولية، من جهة أخرى، نحو شكل من أشكال التسليح والعسكرة واهمة أن إسقاط النظام عبر هذا الطريق هو قاب قوسين أو أدنى.. متجاهلة تعقيدات الواقع السوري مثل: الانقسام العمودي في المجتمع، وتماسك المؤسسة العسكرية، والجغرافية السياسية للساحة السورية، والتوازن الإقليمي في المنطقة، ووجود إسرائيل، وغيرها من التعقيدات التي كانت تنذر بأن الحديث عن إسقاط النظام على الطريقة التونسية أو الليبية، هو حديث خرافة يا أم عمرو!

أضف إلى ذلك أن سقوط النظام بالطريقة السابقة، فيما لو حدث، وبفعل التعقيدات المنوه عنها آنفاً.. قد يأتي بأي شيء إلا بالأهداف التي انتفض الشعب السوري من أجلها: الحرية والكرامة ودولة القانون والمواطنة المتساوية...

من هذه الزاوية يجب التأكيد على أن الهدف من إسقاط النظام هو البديل المأمول وبوسائل تحفظ

وانتظرت الإنسانية فترة أخرى لإقرار القانون الدولي الإنساني أو قانون الحرب والنزاعات المسلحة لتقول من خلال ذلك أن ثمة قوانين وأصول ملزمة يجب أن تحكم الحروب والنزاعات المسلحة حفاظاً على حقوق المدنيين الأبرياء وتخفيفاً لآثار هذه النزاعات فهو يحدد الوسائل والأساليب المستخدمة لشن العمليات العسكرية، وتلزم قواعد المقاتلين بالمحافظة على أرواح المدنيين والأشخاص الذين يكفون عن المشاركة في الأعمال الحربية، مثل الجنود الذين يصابون بجروح أو يستسلمون. علماً أن قواعد القانون الإنساني الدولي لا تنطبق إلا في حالات النزاع المسلح، أما قانون حقوق الإنسان فينطبق في أوقات الحرب والسلام على السواء.

ثم تقدمت الإنسانية خطوة أخرى فأنشأت هيئة للمسائلة عن مدى الالتزام بالقوانين السابقة، وهي المحكمة الجنائية الدولية عام ٢٠٠٢ بهدف مقاضاة الأشخاص المتهمين بارتكاب جرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب. وهي تمدنا بالأمل في أن بعض مرتكبي أسوأ الجرائم التي وقعت إبان النزاعات المسلحة سيُقدّمون إلى العدالة.

بعد هذه المقدمة، ومن باب الحرص على الوجه الناصع والأخلاقي لانتفاضة الشعب السوري المجيدة التي هبت في وجه العسف والاستبداد منادية بالحرية والكرامة ودولة الحقوق والحريات، فإننا نتساءل عن

وحدة المجتمع والدولة وتؤسس لدولة المواطنة، وليس كما يرى البعض من أن المهم هو إسقاط النظام. وليس مهماً ماذا يمكن أن يحصل في سياق ذلك على بنية الدولة والمجتمع؟ وماذا يمكن أن تكون الكلفة المجتمعية والإنسانية. وما هو شكل الدولة القادمة؟ هل هي دولة الحريات والمواطنة المتساوية..

أم إعادة إنتاج نسخة جديدة من الاستبداد؟ أم أن كل ذلك غير مهم... لأن الغاية تبرر الوسيلة! ولأن الأمر كذلك تصبح رؤية ممارسات الأطراف المعارضة الفاعلة في الصراع السوري بعين نقدية هو أمر غاية في الأهمية لأن التأسيس الخاطئ سيقود إلى نتائج كارثية على بنية المجتمع والدولة السوريين في المستقبل كما أن كلفته الإنسانية على المواطن العادي.. ستكون مدمرة إن لم تكن قاتلة..

في هذا السياق لا بد من التأكيد على النقاط التالية:

١- تهدف قوانين الحرب إلى تقليص المعاناة غير اللازمة أثناء زمن الحرب والمبدأ الأساسي هو أن على جميع الأطراف أن تميز في كل الأوقات بين المقاتلين والمدنيين. كما ينص القانون الدولي الإنساني على عدد من تدابير الحماية الأساسية لغير المقاتلين، مثل المدنيين والمقاتلين الأسرى أو المستسلمين، وغيرهم ممن لا يمكنهم القتال بسبب إصابات أو أمراض. يحظر العنف ضد هؤلاء الناس - لا سيما القتل والمعاملة القاسية والتعذيب - وكذلك التعديلات على كرامتهم الشخصية والمعاملة المهينة، وهو الأمر الذي لا يحترم من قبل الجهات المتصارعة في سوريا!

٢- وفق متطلبات قوانين الحرب، فإن جميع الأطراف في أي نزاع مسلح - سواء الدول أو الجماعات المسلحة من غير الدول - مسؤولة عن الالتزام بمتطلبات القانون الدولي الإنساني. أي أن على كل طرف من الأطراف احترام وضمأن احترام قواته المسلحة والآخرين أو المجموعات الأخرى التي تأتمر بأمره أو تحت توجيهه أو سيطرته لقوانين الحرب. هذا الالتزام لا يستند إلى مبدأ التبادلية (اعتماد احترام طرف للقوانين على احترام الطرف الآخر لها)، فعلى أطراف النزاع جميعاً احترام متطلبات قوانين الحرب سواء التزم بها الطرف الآخر أم لم يفعل.

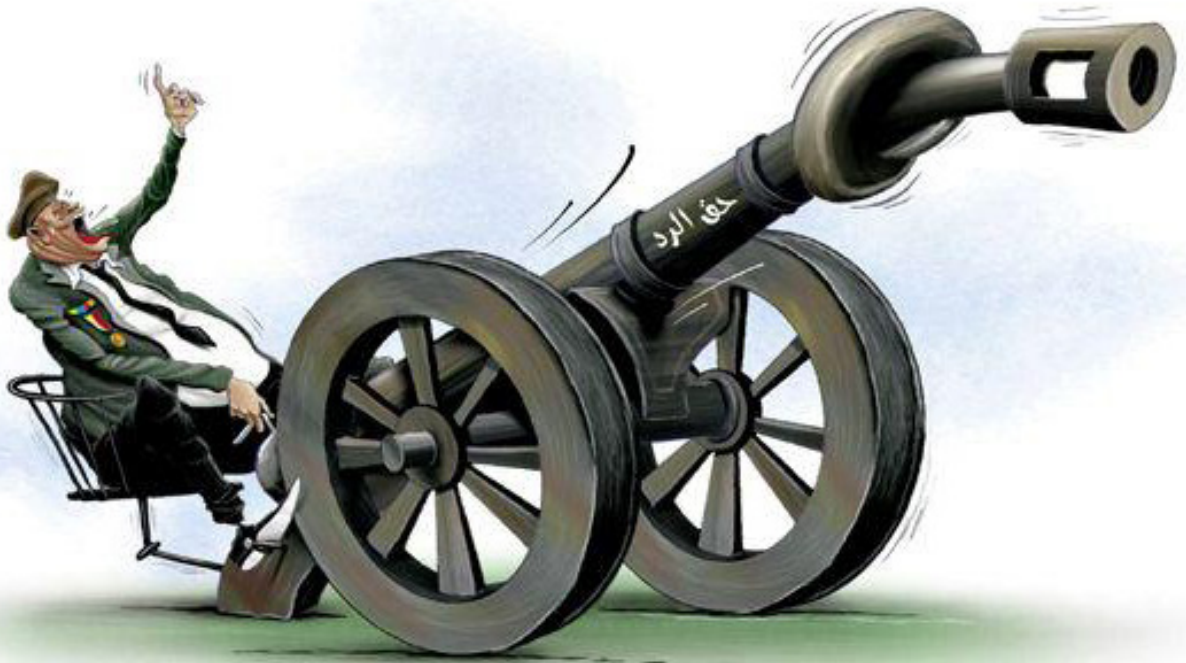
وهذا الأمر غير محترم للأسف في سوريا من قبل جميع الأطراف!

٣- إن الصراع المسلح بين الجيش النظامي السوري، من جهة، وبين الجيش السوري الحر وجماعات المعارضة المسلحة، من جهة أخرى، يرقى إلى كونه نزاع مسلح غير دولي (داخلي) حسب تعريف القانون الدولي. ينظم هذا النزاع المادة ٣ المشتركة في اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩، وهي المادة التي تفرض قواعد دنيا للمعاملة الملائمة للناس داخل المناطق التي يسيطر عليها كل من طرفي القتال، وهو أمر غير مطبق للأسف.

أخيراً... ليس ثمة من شك أن انتفاضة الشعب السوري المجيدة.. المطالبة بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية وإقامة دولة القانون والمؤسسات.. دولة المواطنة المتساوية

كانت وما زالت تتطلب منا بذل كل الجهود الممكنة لإبراز وجهها الإنساني الأصيل.

* جزء من ورقة بحثية



عامر الزعبي amercartoon@gmail.com

قصة رجل أعمال بدء حفاراً للقبور

■ حسين جمو

فأصبح يعرف أن القتل غداً في سن الفيل والشارع الرئيسي في الأشرية، وبعدها في جونية.. ويرجح أن يحدث شيء خلال الأيام المقبلة في برج حمود. معرفة خارطة الموتى بدقة أكسبته ثقة ومكانة روحية لدى المؤمنين والعناصر الأكثر تطرفاً في الميليشيات. أصبح الوضع اللبناني في بيروت الشرقية والأحياء المقابلة من خط التماس أشبه بحالة الطقس. ريمون كان يرى الغيوم الداكنة في السماء ويجزم أنها ستمطر.. هكذا كان يسبق الجثث إلى المقبرة. روى مرة اجتهداً مسيحياً حسب وصفه عن الترابط والتطابق بين كل من "آدم ويسوع المسيح"، فسألته حينها عن أمر آخر تماماً لا بد أنه شعر بعدم أهمية قصته عن النبئين: كيف كنت تشعر عندما تسمع أن سيارة محملة بالجثث وصلت..وعليك بدفنها؟

أجاب: أعتقد أنك تلمح إلى رغبتني في استمرار الحرب وعدم توقفها لأنها تدر لي مالا من حفر القبور. الحقيقة أنني لم أفكر في تحديد مشاعري يوماً في هذا الأمر.. كنت أنظر إلى الجثث مثل لوحات فنية أو صور فوتوغرافية.. أحياناً كنت أرى جمالية في الجثث المشوهة، أو التي تأتينا غير كاملة (بدون يد أو قدم أو حتى مقسمة).. كان الحزن جثة دفنتها مع الجثث الأولى.. لكن سأعود إلى تأكيد أمر لك وهو ما كنت تلمح إليه: "أستاذ حسين.. مركزي الاجتماعي والمالي حالياً يعود بالفضل إلى حفر القبور ودفن الجثث.. قد أكون ميت المشاعر ولا أشعر بالحزن عندما أقلب الجثث وأخيط بعضها.. لكني لست ذللاً لأتمنى استمرار الحرب للحفاظ على دخلي من أشلاء شباناً".

حالته المادية أفضل، وجد في الشارع المؤدي إلى منزله ثلاثة جثث متفحمة لشبان من الحي جلبتهم سيارة من منطقة التماس. وعلا عويل النساء واجتمع مسلحون من الميليشيا التي ينتمي إليها القتلى الثلاثة، لكنهم سرعان ما غادروا مسرعين طلباً للثأر في أقرب حاجز تفتيش. ولأن عزيمة من لا يهمهم أمر الجثث بشكل مباشر تزداد في مثل هذه المواقف، تولى ريمون عملية تحضيرها للدفن. قال لي في لقاءنا الأولي قبل سنوات إن الشبان الثلاثة قتلوا من أجله لينبروا له طريق العمل وكسب القوت. زاد إيمانه بالله من يومها عندما خلد للنوم بعد مراسم الدفن وداهمته فكرة جعلت منه رجل أعمال بارز بعد أن استثمر أمواله بعد نهاية الحرب. عمل عشر سنوات كاملة حفاراً للقبور. دفن جثث الأقرباء والأعداء، وأصبح خبيراً في حفر المقابر الإسلامية أيضاً. لا يذكر بالضبط عدد الجثث التي قام بدفنها، لكنه ذكر مرة أنه مع بداية العام الثالث لعمله وصلت عدد الجثث إلى ما يقارب ٦٠٠. ثم فقد بعدها نعمة الإحصاء بسبب استعارة الحرب بشكل أكثر وحشية. لم يذق طعم البطالة من يومها. كان أكثر اللبنانيين انشغالا في ذلك الوقت. مهنته تدر عليه ذهباً، وأكثر ما خشيه في ذلك الوقت أن يكتشف البقية الأرباح الكامنة في دفن الجثث. لكن الجميع اعتبرها "مهنة غير محمودة"، والتحق العاطلون عن العمل بالميليشيات وعززوا عمل حفار القبور ريمون الذي يقول بتفاخر: جثث القتلى لا تدفن من تلقاء نفسها.. إن هذا يحتاج إلى مجهود وروية فنية أيضاً من نواحي عديدة.. اكتسب ريمون معجزة روحية مع تقدمه في عمله،

كان ريمون (أو هادي... أياً يكن الاسم) المستفيد الوحيد من الحرب الأهلية اللبنانية (الثانية) بعد أن حاول في مطلع اندلاعها أن يكون أحد كوادر ميليشيات الحرب في بيروت. وجه الاستفادة الاستثنائية جاءت من مهنته التي وفرتها له الحرب. أناديه عمي ريمون مجازاً. لبناني من منطقة سوق الغرب المظلة على بيروت. نزح عن بلده أثناء الحرب الأهلية وأقام مع زوجته في الخطوط الخلفية لبيروت الشرقية منتصف الثمانينات. الحرب غيرت معظم المهن الاقتصادية. الغالبية التحقت بالميليشيات واحترفت القصف بالهاون وخرق الهدنة الهشة في كل مرة. ريمون كان في بداية الثلاثينات من عمره عندما أيقن باستحالة ممارسة مهنة الحلاقة في منطقته الجديدة، إذ لم تعد قصات الشعر الأنيقة مطلوبة طالما أن أدخنة الانفجارات والاشتباكات ورائحة البارود تلتصق بالملابس والجلد بقوة حتى تغيرت ملامح الشبان البيض لتصبح داكنة مع مرور الوقت. باع الذهب الذي اشتراه لزوجته قبل الزواج لدفع تكاليف الحياة حتى أنفق آخر ليرة بعد سبعة أشهر من دون أن تبقى لديه فرصة للحياة يوماً آخر من دون شحادة.

ريمون لم يحمل السلاح بعد نزوحه إلى بيروت رغم الدخل الذي كان يوفره القتال من عمليات الخطف والسرقة وقطع الطريق في ذلك الوقت. فشل في الحصول على تأشيرة من السفار الفرنسية للهجرة بعد أن طلبت منه الانتظار ثلاثة أشهر ريثما يتم تسجيل قوائم جديدة لطبقات الهجرة. بعد عودته من منزل أحد أقربائه والذي لم تكن